

أضواء البيان

@ 48 مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْبَنِي السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ { فبدأ بالوالدين براً لهما ، وثنى بالأقربين . .
وقال صلى الله عليه وسلم : (الصدقة على القريب صدقة وصلة ، وعلى البعيد صدقة) ثم
اليتامى وهذا واجب إنساني وتكافل اجتماعي ، لأن يتيم اليوم منفق الغد ، وولد الأبوين
اليوم قد يكون يتيماً غداً ، أي أن من أحسن إلى اليتيم اليوم قد يترك أيتاماً ، فيحسن
عليهم ذلك اليتيم الذي أحسنت إليه بالأمس ، والمسكين وابن السبيل أمور عامة . .
وجاء بالقاعدة العامة التي يحاسب الله تعالى عليها ويجازي صاحبها { وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ } أي مطلقاً { فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ } ، وكفى في ذلك علمه تعالى .
أما موقف المنفق وصورة الإنفاق : فإن هذا هو سر النفقة في الإسلام ، وفلسفة الإنفاق كلها
تظهر في هذا الجانب ، مما تميز به الإسلام دون غيره من جميع الأديان أو النظم . .
لأنه يركز على الحفاظ على شعور وإحساس المسكين ، بحيث لا يشعره بجرح المسكنة ، ولا ذلة
الفاقة كما في قوله تعالى : { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَذَكَّرُونَ مَا آتَوْهُ فَقُوا مَذَّاءً وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } . .
ثم فاضل بين الكلمة الطيبة والصدقة المؤذية في قوله تعالى : { فَوَلِّ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَذَكَّرُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ }
يعطي ولا يمن بالعطاء . .
وأفهم المنفقين أن المنِّ والأذى يبطل الصدقة { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْإِسْءِذَى } لما فيه من جرح شعور المسكين . .
وقد حثَّ على إخفائها إمعاناً في الحفاظ على شعوره وإحساسه { إِنَّ تُبْذَرُوا الصَّدَقَاتِ فَنَدِمْنَا هِيَ } أي مع الآداب السابقة { وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤَوِّهَا الُّفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ } أي لكم أنتم في حفظ ثوابها . .
وقد جعل صلى الله عليه وسلم من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله (رجل
تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه) ، وكما قال تعالى : {

